

نظرية العشق الإلهي..

مراجعة شرعية وفكرية

الكاتب

د. أحمد محمود السيد



نظرية "العشق الإلهي"..
مراجعة شرعية وفكرية

خاص إحسان د. أحمد محمود السيد

ظهر تيار التصوف كرد فعل لتيار الترف الحضاري والانحلال الأخلاقي الذي ساد نهاية القرن الثاني الهجري وكخطا موازيا لشعر الغزل الصريح والخمريات وخلافه، أما العشق الإلهي فقد كان معاكسًا لقصص وأشعار الحب والعشق التي انتشرت في تلك الأجواء؛ لتعبر عن الزهد في الدنيا والنزوع إلى الله، مقابل نهم الانكباب على الملذات الدنيوية والانفتاح الأعمى على الشهوات.

ويتناول هذا البحث نظرية العشق الإلهي باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، من خلال أربعة محاور على النحو التالي:

المحور الأول: دلالة العشق:

أ) لغويًّا:

ب) اصطلاحيًّا:

المحور الثاني: المدارس الكبرى للعشق الإلهي:

أ) رابعة (الشهيدة).

ب) ابن الفارض (السلطان).

المحور الثالث: الغرب والعشق والعاشقين:

أ) "الرومي" (شاعر الغزليات الصوفية).

ب) "السهروردي" (شاعر الإخصاب الروحي).

المحور الرابع: الإطار الشرعي لتقييم العشق الإلهي:

أولًا: دلالة العشق لغويًا واصطلاحيًا:

أ) لغويًا:

– عشق:

العِشْقُ: فرط الحب، وقيل: هو عُجْب المحب بالمحبوب يكون في عَفاف الحُبّ ودَعارته؛ عَشِقَه يَعْشَقُه عِشْقًا وعَشَقًا وتَعَشَّقَهُ، وقيل: التَّعَشُّقُ، تكلّف العِشْقِ، وقيل: العِشْقُ الاسم والعَشَقُ المصدر، قال رؤبة: ولم يُضِعْها بينَ فِرْكٍ وعَشَقْ، ورجل عاشِقٌ من قوم عُشَّاقٍ، وعِشِّيقٌ مثال فِسِّيقٍ: كثير العِشْقِ. وامرأَة عاشِقٌ، بغير هاء، وعاشِقةٌ.

والعَشَقُ والعَسَقُ، بالشين والسين المهملة: اللزوم للشيء لا يفارقه، ولذلك قيل للكَلِف عاشِق للزومه هواه والمِعْشَقُ: العِشْقُ؛ قال الأَعشى: وما بيَ منْ سُقْمٍ وما بيَ مَعْشَق، وسئل أَبو العباس أَحمد بن يحيى عن الحُبِّ والعِشْقِ: أَيّهما أَحمد؟ فقال: الحُب لأن العِشْقَ فيه إفراط، وسمي العاشِقُ عاشِقًا لأَنه يَذْبُلُ من شدة الهوى كما تَذْبُل العَشَقَةُ إذا قطعت، والعَشَقَةُ: شجرة تَخْضَرُّ ثم تَدِقُّ وتَصْفَرُّ؛ عن الزجاج، وزعم أَن اشتقاق العاشق منه؛ وقال كراع: هي عند المِوَلَّدين اللَّبْلابُ، وجمعها العَشَقُ.

ابن الأَعرابي: العُشُقُ المِصْلحون غُرُوس الرياحين ومُسَوُّوها، قال: والعُشُقُ من الإبل الذي يلزم طَرُوقَتَه ولا يَحِنّ إلى غيرها.

أَبو عمرو: يقال للناقة إذا اشتدت ضَبَعَتُها قد هَدِمَتْ وهَوِسَتْ وبَلَمَتْ وتَهالَكَتْ وعَشِقَتْ وأَبْلَسَتْ، فهي مِبْلاسٌ، وأَرَبَّتْ مثله[1].

– الحب: هو عبارة عن ميل الطبع في الشيء الملذ، فإن تأكد الميل وقوي يسمى عشقًا، والعشق مقرون بالشهوة، والحب مجرد عنها.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1980 م، مادة عشق، (2356/5).

- وأول مراتب الحب الهوى، وهو ميل النفس، وقد يطلق ويراد به نفس المحبوب، والعشق في الصحاح هو فرط الحب وعند الأطباء نوع من أنواع الماليخوليا، والجوى: هو الهوى الباطن مع شدة الوجد من عشق أو حزن(2).

- عشقه: أحبه أشد الحب، عشق بالشيء: لصق به ولزمه، عشق الشيء بآخر: أدخل أطراف أحدهما بين أطراف الآخر(3).

ب) الدلالة الاصطلاحية:

1) العشق درجة من درجات المحبة:

يعرف الهروي (ت:481هـ) المحبة بأنها (تعلق القلب بين الهمة والأنس)، بما يعني تعلق القلب بالمحبوب تعلقًا حائرًا بين طلب المحب لمحبوبة طلبًا لا ينقطع، وبين أنسه بمحبوبة(4).

وللمحبة درجات:

الأولى محبة تقطع وساوس القلب، وتلذ الخدمة وتسلي عن المصائب، وتنشأ من ملاحظة العبد لنعم المولى الظاهرة والباطنة، وثبات هذه المحبة يكون بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم والتأسي به.

والثانية محبة تبعث على إيثار الحق على كل ما سواه، وتنشأ بسبب من مطالعة العبد للصفات الإلهية، والارتباط بالمقامات الروحية.

والثالثة محبة تنشأ من مشاهدة جمال المحبوب، وفي هذه الدرجة يختطف قلب المحب وتنقطع عبارته وإشارته، وحقيقة هذه الدرجة: الفناء في المحبة وفي الشهود.

---

(2) أبو البقاء الكفوي، الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، ط2، 1989م، 1419هـ، ص(398-399).

(3) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 1425هـ، 2004م، مادة عشق، ص(603).

(4) الهجويري، كشف المحجوب، ترجمة د.إسعاد قنديل، دار النهضة بيروت، 1980م، ص(107).

والمحب إذا كان واعيًا بحبه ومكتسبًا له سمي "محبًّا"، وإذا كان مختطفًا بالحب سمي "عاشقًا"، والفرق بينهما . فيما يقول شيوخ التصوف . أن المحب مريد والعاشق مراد[5].

2) العشق الإلهي محبة مؤكدة مفرطة:

يعرف الإمام الغزالي العشق الإلهي قائلًا: (فاعلم أن مَن عَرَف الله أحبَّه لا محالة، ومَن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته، والمحبة إذا تأكدت سُميت عشقًا، فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة، ولذلك قالت العرب: "إن محمدًا قد عَشِق ربه" لمَّا رأوه يتخلى للعبادة في جبل حراء)[6].

3) العشق "مراتب" و"مقامات":

العشق حالة من أحوال الحب الإلهي، تنتقل زيادة أو نقصانًا في مراتب (مقامات) متدرجة[7]، وهي مراتب شبيهة بأحوال العشق البشري مع الفارق في القداسة بطبيعة الحال، هذه المراتب يمكن أن تنحصر في الأحوال الآتية[8]:

- العلاقة: الحب اللازم للقلب وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب.
- الشغف: حرقة الحب للقلب مع لذة تداخلها شغفه حبه: أي إحرق قلبه مع لذة يجدها.
- اللوعة: حرقة الهوى.
- الصبابة: رقة الشوق وحرارته.
- الشوق: السفر إلى المحبوب والاشتياق: نزع النفس بكليتها إلى المحبوب.
- التبل: وهو أن يسقمه الهوى ومنه رجل متبول.

---

(5) القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق د.عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1978م، (610/2).

(6) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الشعب، القاهرة، 1963م، ط1، (857/3).

(7) المرجع السابق.

(8) عبد الرزاق الكاشاني، كشف الوجوه الغر لمعاني نظم الدر، تحقيق أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ص(85).

- الوصب: ألم الحب ومرضه.
- الهيام: وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه.
- الوله: وهو ذهاب العقل من الهوى.
- التتيم: وهو أن يستعبده الحب.

ثانيًا: المدارس الكبرى للعشق الإلهي:

أ) رابعة العدوية (الشهيدة):

نشأ مصطلح الحب الإلهي في القرن الثاني الهجري وكانت الحياة قبل ذلك يحركها عامل الخوف من الله ومن عقابه، أبرز ممثلي هذا الاتجاه الحسن البصري وكانت حياة الزهاد والعباد الأوائل تمتلئ بهذا المعنى، فقد عرف عنه أنه كان يبكي من خوف الله حتى قيل كأن النار لم تخلق إلا له[9].

ويميل مؤرخو التصوف الإسلامي إلى القول بأن رابعة العدوية (ت: 185هجرية) هي أول من أخرجت التصوف من الخضوع لعامل الحب، وأنها أول من استخدمت لفظ الحب استخدامًا صريحًا في مناجاتها وأقوالها المنثورة والمنظومة، وعلى يديها ظهرت نظرية العبادة من أجل محبة الله لا من أجل الخوف من النار أو الطمع في الجنة[10].

ويرجع مؤرخو التصوف لرابعة العدوية إدخال مفهوم العشق الإلهي في التصوف الإسلامي بسمات خاصة تختلف عما ورد في مسألة العشق الإلهي في النصرانية،

---

(9) د.محمود حمدي زقزوق، الموسوعة الإسلامية العامة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 2003م، ص(494).

(10) المرجع السابق.

والـذي كانـت مـن أبـرز دعاتـه (الأم تيريـزا)، وإن أكـد الـبعض أنهـا نسـخة طبـق الأصل منها[11].

وقـد فسـر الإمـام الغـزالي العشـق الإلهـي بأنـه حالـة مـن الحـب الشـديد يشـتاق فيهـا المحـب إلى لقـاء الله سـبحانه وتعـالى، فـلا ينظـر إلى شـيء إلا ورآه فيـه سـبحانه، ولا يقـرع سمعـه قـارع إلا وسمعـه منـه أو فيـه، فينـتج عـن هـذا المقـام أحـوال مـن المكاشـفات والملاطفـات لا يحيط الوصـف بهـا، يعرفهـا مـن ذاقهـا وينكرهـا مـن كـل حسـه عـن ذوقها[12].

ب) عمر ابن الفارض (السلطان):

ابـن الفـارض، هـو أبـو حفـص شـرف الـدين عمـر بـن علـي بـن مرشـد الحمـوي، أحـد أشـهر الشـعراء المتصـوفين، وكانـت أشـعاره غالبهـا في العشـق الإلهـي حـتى أنـه لقـب بـ"سلطان العاشـقين"، ولـد بمصـر سـنة 567هـ الموافـق 1181م، ولمـا شـب اشـتغل بفقـه الشـافعية، وأخـذ الحـديث عـن ابـن عسـاكر، ثم سـلك طريـق الصـوفية ومـال إلى الزهـد، رحـل إلى مكـة في غـير أشـهر الحـج، واعتـزل في واد بعيـد عنهـا، وفي عزلتـه تلـك نظـم معظـم أشـعاره في الحـب الإلهـي، حـتى عـاد إلى مصـر بعـد خمسـة عشر عامًا[13].

يصـفه شـيخ الأزهـر السـابق د.مصـطفى عبـد الـرازق بأنـه: (الصـوفي المصـري الأول بـلا منـازع، ورأس شـعراء التصـوف الـذين نظمـوا قصـائدهم بالعربيـة، وقيـل: إن شـعره صـادر عـن نفثـة مصـدور وعاشـق مهجـور، أعلـى مراتـب شـعره حواهـا ديـوان "التائيـة الكـبرى" الـذي يتكـون مـن 760 بيتًـا، وفيـه وصـف رياضـاته الروحيـة ومجاهداتـه ومنازلاته القلبية وموصلاته الروحية للعشق الإلهي)[14].

---

(11) المرجع السابق.

(12) الغزالي، إحياء علوم الدين، ص(858).

(13) ديوان ابن الفارض، تحقيق د.درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2008م، ص(167).

(14) المرجع السابق.

لابـن الفـارض قصـيدة أخـرى مطولـة أسمهـا "الميميـة" والـتي اشـتهرت بقصـيدة "الخمـر"، والـذي يـدافع عنهـا المتصـوفة بأنـه لا يعـني بـه الشـراب الـذي يـذهب العقـل ويـورد الخبـل والغيـاب، إنمـا عـني بـه السـكر النـاجم عـن العشـق الإلهـي، والـذي يعـد أحـد المواجيـد الأساسـية للتصـوف والمتصـوفة، والـذي يلقـى صـاحبه غـافلًا عـن الـدنيا منتبهًا فحسب إلى كل ما يصل الإنسان بربه(15).

تـدور أغـراض شـعر ابـن الفـارض حـول الحـب الإلهـي الـذي يصـل في ذروتـه إلى العشـق الإلهـي، والـذي يقـوم علـى الاتحـاد، أي الاعتقـاد أن كـل مـا في الوجـود يتسـاوى في الشـرف، لأنـه يمثـل جوانـب مـن الحقيقـة الإلهيـة، فالمسـجد والكنيسـة وبيـت الأصـنام والنـار كلهـا جوانـب لله، وشـارب الخمـر والمتعبـد في بيـت عبادتـه، كلاهمـا يمثـل حقيقـة واحـدة في مظهـرين، والله يتبـدى لكـل محـب في محبوبـه، وهنـا يكون مذهب ابن الفارض هو وحدة الوجود مثله مثل ابن عربي(16).

---

(15) علي نجيب العطوي، ابن الفارض شاعر الغزل والحب الإلهي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994م، ص(56).

(16) د.وفيق عبد السلام، الغرب والتصوف، دار الهداية، القاهرة، 2007م، ص(253).

ثالثًا: الغرب والعشق والعاشقين:

احتفى الاستعمار الغربي قديمًا وحديثًا بالصوفية والمتصوفة وأبدى تقديرًا كبيرًا دراسة وتحليلًا ونشرًا على يد المستشرقين والمفكرين المعاصرين، بالأخص رواد العشق الإلهي من أمثال جلال الدين الرومي والسهروردي ومن على شاكلتهم، من شواهد هذا الاهتمام، الإقبال الأمريكي على دراسة أعمال أنصار العشق الإلهي من أمثال جلال الدين الرومي والسهروردي وغيرهم، فقد زاد الإقبال على دراسة أشعار وكتب الرومي في الجامعات الأمريكية، وكذلك كثرت المؤتمرات التي تعقدها هيئات ثقافية أمريكية بهذا الخصوص يتم فيها دعوة علماء وأدباء وشعراء من الدول الإسلامية لمناقشة هذه الأعمال، وتنشر الصفحات الثقافية في المجلات الأمريكية عروضًا لأشعاره، وأكبر مقياس على مدى شهرته تسجيل مجموعة من نجوم السينما والمطربين الأمريكين أشعاره، وغناء نجوم (بوب) غربيون مثل (مادونا) ترجمات أشعاره لتعظيمه قوة الحب واعتقاده في فائدة الموسيقى والرقص الروحية[17].

وكان لهذا الاهتمام أسبابًا كثيرة يذكرها مؤرخو الصوفية وفلاسفة التاريخ نذكر منها النقاط التالية:

1) التشكيك في عقيدة المسلمين وبث الغموض والتعقيد في مفردات عقيدة التوحيد الصافية، ليصبح المسلم مذبذبًا لا يستطيع أن يجابه الأعداء وهو بعقيدة مهزوزة يسهل تحويله عنها.

2) إيهام المسلمين بأن نظرية الفناء في الله والحلول والاتحاد والعشق الإلهي مستقاة من العقائد المسيحية، وأنها تتشابه في الكثير من مبادئها مع ما يناظرها في المسيحية من التثليث وحلول قوة الرب في الصليب وغيرها من المعتقدات.

---

(17) محمد أحمد درنيقة، معجم شعراء الحب الإلهي، دار الهلال، بيروت، 2003م، ط2، ص(371).

3) سهولة قبول المسلمين لدعوة التنصير عند التقريب بين المسيحية والإسلام والقول بأن منطلقها واحد.

4) ضرب التميز والخصوصية الإسلامية بالقول بصحة الأديان كلها ووحدتها، لتمييع الإيمان بأن الإسلام هو دين الله الخاتم.

5) التخلي عن المبادئ الإسلامية في إطار المناداة بالمطلقات الإنسانية العامة والدعوة إلى قبول الاستعمار الصهيوني والمسيحي تحت مسمى التسامح والتعايش وقبول الآخر.

6) التسوية بين الأديان كلها وعدم تمييز دين على آخر، واعتبار أنها تؤدي كلها إلى هدف واحد هو الوصول إلى الله، وبالتالي يستوي المؤمن والكافر في ظل منظومة تفصل الدين عن الدولة، وتهمشه بعيدًا عن الواقع.

7) الاحتفاء بالدور السلبي المنسحب من الحياة وأحداثها والمتدثر بقالب الذكر والعبادة، المتباعد عن الأدوار الإيجابية التي تقف أمام الاستعمار الصليبي والصهيوني.

8) دعوة المسلمين إلى تبني مناهج تبعد عن العلم والعقل والوحي .كالاعتماد على الأحلام والرؤى كمصدر للعبادة . ليسهل بعد ذلك تهميشها للدين وفصلها له.

9) فتح الباب لوسم الإسلام بالانحلال والخلط والشركيات في مسألة العالقة بين العبد بربه.

10) الدعوة إلى المحبة والسلام، وهى دعوة حق أريد بها باطل عندما تنتشر بين أناس احتلت أراضيهم واغتصبت نساؤهم واستبيحت ثرواتهم.

11) تعظيم قوة الحب والاعتقاد في فائدة الموسيقى والرقص الروحية.

12) الـدعوة إلى العالميـة في العقيـدة بالجمـع بـين فلسـفة التصـوف ومصـادر الفكـر الإشـراقي المتعـددة (الزرادشـتية والفيثاغورثيـة والأفلاطونيـة والهرمسـية وغيرهـا) لإغـراق العقيدة الإسلامية وتذويبها في العقائد الشركية المختلفة.

13) خلـط العقيـدة المسـيحية فيمـا يخـص السـيدة مـريم عليهـا السـلام بعقيـدة الإسـلام بصـددها حيـث تحولهـا مـن بشـر إلى إلـه، وذلـك عنـد الحـديث عـن مـا يسمى الإخصاب الروحي كما جاء عند السهروردي.

14) تـدعيم نظريـة العشـق الإلهـي الـتي تحـول قيمـة الجهـاد في سـبيل الله مـن حركـة تـؤدي إلى إزالـة الجاهليـة مـن الأرض وإحـلال المـنهج الـرباني محلهـا والتمكـين لـدين الله في الأرض وإطـلاق الحريـة للإنسـان في اختيـار الإسـلام أو رفضـه . إلى جهـاد دفـاعي ينحسر في جهاد النفس تاركًا الفساد يعج في الأرض.

مـن أمثلـة متصـوفة العشـق الإلهـي الـذين أولاهـم الغـرب اهتمامًـا كبـيرًا جـلال الـدين الرومي والسهروردي:

أ) "الرومي" (شاعر الغزليات الصوفية):

هـو محمـد بـن محمـد بـن الحسـين بـن أحمـد بـن قاسـم بـن مسـيب بـن عبـد الله بـن عبـد الـرحمن بـن أبي بكـر الصـديق، عـرف نفسـه بالبلخـي، ولُقـب بالقونـوي نسـبة إلى قونيـة الـتي سـكنها وتـوفي فيهـا، كـذلك لُقـب بالرومـي نسـبة إلى بـلاد الـروم، وكانـت قونيـة، في وسـط تركيـا الراهنـة، في عهـده إحـدى أعظـم مـدن الإسـلام في الـروم، فأصبح يُعرف بالبلخي القونوي الرومي[18].

بـدأ عالمـا بفقـه الحنفيـة ومختلـف أنـواع العلـوم الـتي جـادت بهـا قـرائح المسـلمين، ثم انتهـى متصـوفًا بعـدما تـرك الـدنيا والتصـنيف، ولجـأ إلى الشـعر يبـث فيـه فلسـفته القائمـة علـى وحـدة الوجـود، وصـحة الأديان جميعًـا، والدعايـة إلى المحبـة والسـلام،

(18) المرجع السابق.

وقـد أدى بيانـه الفيـاض، والقـيم العميقـة الرحبـة المتسـامحة، الـتي تنطـوي عليهـا فلسـفته، وتكمـن في أبيـات قصـائده إلى أن صـار الآن جسـرًا متينًـا بـين الشـرق والغرب[19].

ولـد في فـارس عـام 604هـ - 1207م لأسـرة ينتهـي نسـبها ـ علـى الأرجـح ـ إلى أبي بكـر الصـديق رضـي الله عنـه، وتحظـى بمصـاهرة البيـت الحـاكم في خـوارزم، أمـا أمـه فكانت ابنة خوارزم شاه علاء الدين محمد.

في مطلـع الخمسـينات مـن عمـره راح الرومـي يملـي علـى تلميـذه حسـام الـدين ديوانـه الشـعري الصـوفي "المثنـوي"، أكـبر ديـوان صـوفي في التـاريخ الإنسـاني، ومؤلـف من سبعة وعشرين ألف بيت[20].

يبـدأ الـديوان بأبيـات تحكـي شـوق الـروح الإنسـانية إلى خالقهـا، تحـت غطـاء رمزي، يتمثل في ناي يئن حنينًا إلى منبته، بقوله (مترجم عن الفارسية):

أنصت للناي كيف يقصّ حكايتـه   إنـه يشكـو آلام الفـراق

إنني منذ قطعت من منبت الغـاب   والناس رجالًا ونساء يبكون لبكائي

إنني أنشد صـدرًا مزّقه الفـراق   حتى أشرح لـه ألم الاشتيـاق

فكلّ إنسان أقام بعيدًا عـن أصله   يظلّ يبحـث عن زمـان وصلـه

عـلاوة علـى "المثنـوي" نظـم الرومـي ديـوان "شمـس تبريـز" الـذي يشـمل غزليـات صوفية، والتزم فيه ببحور العروض، وهو يحوي 36023 بيتًا[21].

ومركزيـة قيمـة الحـب في تجربـة الرومـي، جعلتـه يتجـاوز حـدود المعتـاد، ويقبـل المشـارب والأطيـاف كافـة، ويقـول بوحـدة الحـب والأديان، بـل إن العاشـق في نظـره لا يكـون صـادقًا مـا لم ينفـتح أفقـه علـى الخلـق كلـه، وتعـود فيوضـات المحبـة في شـعر

(19) المرجع السابق، ص(372).

(20) المرجع السابق، ص(373).

(21) المرجع السابق.

الرومـي وفلسـفته الإنسـانية إلى الحـب الجـارف الـذي كـان يكتنـف روحـه، فالحـب لديـه لهيـب محرقـة، وفي بحـر السـماع مـاء معـين ترتـوي منـه الـروح مـا تريـد وكيفمـا تشـاء، فهـو عنـدما يتحـدث عـن قيمـة السـماع والمجاهـدة والإرادة في مكابـدة الـنفس والوجـود، كأنـه يجسـد فعـل المحبـة الشـاملة، والقـيم كافـة الـتي دارت حولهـا تجربـة جـلال الـدين الرومـي الروحيـة، تصـب في فلسـفة الحـب والعشـق الإلهـي الـتي جعلهـا أسـاس الوجود الإنساني، وحول المرأة التي ينعكس فيها كل شيء[22].

عـرّف الرومـي الحـب قـائلًا: (يعـنى أن تميـل بكلـك إلى المحبـوب، ثم تـؤثره علـى نفسـك وروحـك ومالـك ثم توافقـه سـرًّا وجهـرًا ثم تعـترف بتقصـيرك في حبـه)، وكـان يعتقـد أن الحـب، هـو (هتـك الأسـتار وكشـف الأسـرار)، وطاقـة الحـب لديـه هـي (النـار المشـتعلة في القلـب والـتي تحـرق كـل شـيء عـدا مـراد المحبـوب)، و(اسـتقلال الكثـير مـن نفسـك واسـتكثار القليـل مـن محبوبـك، فالحـب يسـقط شـروط الأدب)، وهـي كـذلك (كالغصـن، حـين يغـرس في القلـب فيثمـر علـى قـدر العقـل)، وكـان يقول دومًا: (الحب أوله ختل وآخره قتل)[23].

وأنشـد الرومـي شـعرًا خالـدًا في العشـق الإلهـي[24]، إذ قـال في قصـيدته "شمـس مغربي":

ولقد شهدت جماله في ذاتي   لما صفـت وتصقلـت مرآتي

وتزينـــت بجمـــاله وجلالـــه   وكمــــاله ووصــــاله خلواتـي

أنواره قد أوقـدت مصباحي

عاصـر الرومـي فـترة هجـوم المغـول علـى الدولـة الإسـلامية واكتسـاحهم وقضـاؤهم علـى كـل حواضـر الإسـلام، هـرب والـده بنفسـه أمـامهم مـن أفغانسـتان إلى دمشـق ولم

(22) المرجع السابق، ص(374).

(23) المرجع السابق.

(24) المرجع السابق، ص(375).

يسمع عن الرومي أنه ألف قصائد في مقاومة المغول أو حربهم أو ماشابه ذلك(25)، لأن الذي غاص في بحر "العشق" لن يستطيع مقاومة أمواج الأعداء ولا صد هجمات الباطل.

ب) السهروردي (شاعر الإخصاب الروحي):

يعتبر السهروردي أحد كبار فلاسفة "الإشراق" في تاريخ الفكر الإسلامي، دعا إلى الوصول للمعرفة عن طريق الذوق والكشف الروحاني، اطلع على الفلسفات التي خلفها كهنة مصر وفلاسفة الإغريق وبراهمة الهند وغيرها، فانتهى إلى المطالبة بالتأمل الروحاني للوجود، والتخلص من الوقوع التام تحت طائلة المصادر، والاعتماد على التفكير الذاتي والإبحار في النفس، جنبًا إلى جنب مع توسل البرهان العقلي في الوصول إلى الحقيقة(26).

إنه "أبو الفتوح" يحيى بن حبش بن أميرك، ويلقب بـ"شهاب الدين" ويوصف "بالحكيم"، و"المؤيد بالملكوت" ولقبه تلامذته بـ"الشهيد"، واشتهر بالشيخ المقتول تمييزًا له عن صوفيين آخرين هما: شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي البغدادي (632هـ) ومؤلف كتاب "عوارف المعارف" في التصوف، وصاحب الطريقة الصوفية المنسوبة إليه وهي الطريقة السهروردية، أما الآخر فهو "أبو النجيب السهروردي" (ت: 563هـ)(27).

ولد السهروردي عام 545هـ على الأرجح، في بلدة سهرود بزنجان في أذربيجان، حيث تلقى مزيجًا من الثقافات الإسلامية وغيرها، يعتمد بعضها على إعمال العقل، وبعضها على التذوق، وكان السهروردي كثير الأسفار، وفي ترحاله التقى علماء وحكماء ومتصوفة كثيرين، وفي مطارحاته نقل عنه تلميذه الشهروري

---

(25) المرجع السابق.

(26) عوارف المعارف للسهروردي، تحقيق د.عبد الحليم محمود، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط2، 2005م، ص(94).

(27) المرجع السابق.

قوله عن هذه المرحلة من عمره: (قد بلغ سني إلى قرب 30 سنة، وأكثر عمره في الأسفار والاستخبار والتفحص عن مشارك مطلع على العلوم)، ثم قال: (سافر في صغره في طلب العلم والحكمة إلى مراغى، واشتغل بالحكمة على مجد الدين الجيلي، ثم سافر إلى نواحٍ متعددة، وصاحب الصوفية، واستفاد منهم، وحصل لنفسه ملكة الاستقلال بالفكر والانفراد ثم اشتغل بنفسه حتى وصل إلى غايات مقامات الحكماء ونهايات مكاشفات الأولياء[28].

أوضح قطب الدين الشيرازي في مقدمة كتاب "حكمة الإشراق للسهروردي" أن الفلسفة الإشراقية هى الحكمة المؤسسة على الإشراق الذي هو الكشف، أو حكمة المشارقة الذين من أهل فارس، ويرى الإشراقيون أن المعرفة لا تقوم على تجريد الصور، كما يقرر المشّاءون، وهم أتباع فلسفة أرسطو، بل تقوم على الحدس الذي يربط الذات العارفة بالجواهر النورانية صعودًا كان أو نزولًا[29].

ولم يكتف السهروردي في بث فلسفته الإشراقية على النثر، بل قدمها أيضًا في نظم شعري صاف[30]، إذ نظم في العشق الإلهى أبياتًا تقول:

أبدًا تحنّ إليكمُ الأرواحُ ... ووصالكمْ رَيحانُها والراحُ

وقلوبُ أهل وِدادكمْ تشتاقكمْ ... وإلى لذيذ لقائكمْ ترتاحُ

وارحمتا للعاشقين! تكلّفوا ... سترَ المحبّة، والهوى فضّاحُ

بالسرّ إن باحوا تباحُ دماؤهم ... وكذا دماءُ العاشقين تُباحُ

ونظم قصيدة أخرى على المنوال ذاته، جاء فيها:

كُلّ يَومٍ يَروعُني مِنكَ عَتب ... أَيّ ذَنبٍ جَناهُ فيكَ المُحتبُّ

إِن تَكُن أَحدَثت وشاتي حَديثًا ... بِسلوّى هَواك حَشاي كذبُ

---

(28) المرجع السابق، ص(93).

(29) المرجع السابق.

(30) المرجع السابق، ص(95).

وَضُلوعي لَهَا هَـــواك ضُلـــوعًا بَل وَقَلبي لَهـا المَحبّة قَلـــبُ

مُتّ مِـن جـــورِ سادَة قَـد أَحَلّوا قَتلَ مَن لا لهُ سِوى العشقِ ذَنبُ

صارَ لـــي في هَواهُ رُتبـة مـــا حازَهـــا في هَواهم قَـطُّ صَبُّ

عَبراتٌ تَهْــمى وَجِسمٌ نَحيـــلٌ وَفُؤادٌ عَلـــى التَّقاطعِ يَصبـــو

وَضُلوعٌ مِنَ الجَوى واهِيـــات وَدُموعٌ بِذائِبِ القَلبِ سكـــبُ

يا سَميري وَلَم أَقُل يا سَميـــري قَط إِلّا أَجـاب عِشق وَحُـــبُّ

هَل لِداء الهَوى سَمعـــت دَواء هَل لِمَيت الغَرام في الحُبّ طبُّ

بَينَ جِسمي وَالسَّقم سلـم وَبَينَ الجفنِ وَالنَّوم عِندَما صَدّ حَربُ

مَن مُجيـــري مِن ظالِـــم وَلي القَلب لَهُ اليَوم فيهِ قَتلٌ وَنَهـــبُ

جاءَ لِلنّـــاسِ فتنة بِخُـــدودٍ نارها فـــي قُلوبنا لَيـسَ تَخبـو

إِنَّ عَينى لِشمس وَجهِكَ شَـرق ما لِدَمعي سِوى الجفن غَــربُ

وفي إحـدى قصـائده بيـت يشـبه مـا سـبق أن نظمتـه رابعـة العدويـة في العشـق الإلهى:

وَلَولاكُم ما عَرَفنا الهَوى وَلَولا الهَوى ما عَرفناكُم

وهـذا العشـق أزلى، مستقر في الأعمـاق، في الحشـايا والخـلايا والضـلوع، إنـه عشـق مرتبط بالوجود، ومن دونه العدم والصمت واللاشيء:

أَقسَمـتُ بِصَفو حُبِّكُم في القدم مــا زَلَّ إلى غَـيرِ هَواكُم قَدَمـي

قَد أَمــزج حُبّكُم بِلَحمي وَدَمـي قَطعي صلتي وَفي وُجودي عَدَمي

وثمـة قصـيدة أخـرى عـن النـور الغـامر الـذي يمـلأ القلـب بحـب الخـالق الأعظـم، صورها في بساطة عبر التجسيد والتمثيل:

لِأَنوارِ نـورِ الله في القَلـــب أَنـوارُ وَللسرّ في ســرّ المُحبّيـن أَســرارُ

وَلمّا حَضَــرنا للشّرابِ بِمجلـــسٍ وَخفّ مِن عالـــم الغَيب أَســـرارُ

وَدارَت عَلَينــــا لِلمَعــارف قَهــوة   يَطوفُ بِها مِن جَوهرِ العَقلِ خمـارُ
فَلَـمّا شَرِبناهـــا بإِقــــراه فمــــها   أَضــــاءَ لَنا مِنها شُمـوس وَأَقمــارُ
وَكاشَفــنا حَتّــى رَأَينـــاهُ جَهــرَةً   بِأَبصار صِدقٍ لا يُواريــهِ أَستـــارُ
وَخالَفــنا في سكرِنـا عِنـدَ نَحـونا   قَديمٌ عَليـمٌ دائمُ العَفـــوِ جَبّـــارُ
سَجَـدنا سُجـــودًا حيـــنَ قــالَ   تَمَتّعــوا بِرُؤيَتنا إِنّي أَنا لَكُـــم جارُ

فلسفة العشق والقهر عند السهروردي:

كـان السـهروردي أحيـانًا يسـتبدل بالإشـراق والمشـاهدة فِعْلَـى "العشـق" و"القهـر"، أى: (العشـق بـه ينـتظم الله الوجـود صـعودًا، وبالقهـر ينتظمـه نـزولًا، والنفـوس منطويـة في قهر نورية العقول)[31].

فلسفة الإخصاب الروحي:

وكـان مـن عـادة السـهرودي أن يفصـل نظرياتـه ويشـرحها عـبر نصـوص تبسـيطية انطوت عليها رسائله الشهيرة، ومن بينها رسالة جناح جبريل التي يقول فيها:

(تسـللت مـن دار النسـاء، وتفلـتُّ مـن بعـض أحزمـة الأطفـال ولفـائفهم عنـد المسـاء، وكنـت أحمـل مشـعلًا، فتوجهـت إلى حـراس قصـر أمـي، وعنـد بـزوغ الفجـر نازعتْـني الرغبـةُ إلى سـرداب أبي، وهـو ذو بابـين، فـدخلت في أحـدهما، فعاينـت عشـرة شيوخ صُباح، من أين جاء هؤلاء السادة؟

قال أقربُهم: إننا قوم متجرِّدون أتينا من حيث لا مكان، فلم أفهم كلامه.

قلت: كيف تشتغلون؟

قـال: بالخياطـة، واعلـمْ أنـه لـيس لنـا زوج، لكـن لكـلٍّ منـا ولـدٌ ورحـى تـدور ولي أولادٌ كثر يعجـز أمهـر الحاسـبين عـن إحصـائهم، ففـي كـل لحظـة يتكـوَّن لي عـددٌ وافـر منهم، فأرسل كلًّا إلى رحاه.

فقلت للشيخ: من أين جاءك هذا الإخصاب؟

قـال: اعلـم أني لي جاريـة حبشـية لا أنظـر إليهـا أبـدًا، تجلـس بـين الأرحـاء وهـي تحـدِّق في رحاهـا الخاصـة، ورحاهـا تـدور، وكلمـا اتَّجهـتْ نحـوي حدقـةُ عـين الصـبية السوداء تكوَّن في حشاها ولدٌ منِّي، من دون أن تبدر عنى حركة أو يصيبنني تغيُّر.

استوضحتُه كيفية هذا النظام.

---

(31) المرجع السابق.

قـال: اعلـم أن لي كلمـات هـي جـزء مـن كلمتـه النورانيـة، بعضُـها يقـع فـوق بعـض، حتى اكتمال العدد)[32].

(32) المرجع السابق، ص(96).

رابعًا: الإطار الشرعي لتقييم العشق الإلهي:

أ) موقف شيخ الإسلام ابن تيمية:

الناس في العشق على قولين، قيل: إنه من باب الإرادات، وهذا هو المشهور، وقيل: من باب التصورات، وإنه فساد في التخييل حيث يتصور المعشوق على غير ما هو به.

قال هؤلاء: ولهذا لا يوصف الله بالعشق ولا أنه يعشق لأنه منزه عن ذلك، ولا يحمد من يتخيل فيه خيالًا فاسدًا، وأما الأولون فمنهم من قال يوصف بالعشق فإنه المحبة التامة والله يحب ويحب.

وروي في أثر عن عبد الواحد بن زيد أنه قال: لا يزال عبدي يتقرب إلي يعشقني وأعشقه، وهذا قول بعض الصوفية، والجمهور لا يطلقون هذا اللفظ في حق الله لأن العشق هو المحبة المفرطة الزائدة على الحد الذي ينبغي، والله تعالى محبته لا نهاية لها، فليست تنتهي إلى حد لا تنبغي مجاوزته.

قال هؤلاء: والعشق مذموم مطلقًا لا يمدح في محبة الخالق ولا المخلوق؛ لأنه المحبة المفرطة الزائدة على الحد المحدود، وأيضًا فإن لفظ العشق إنما يستعمل في العرف في محبة الإنسان لامرأة أو صبي، لا يستعمل في محبة كمحبة الأهل والمال والجاه ومحبة الأنبياء والصالحين، وهو مقرون كثيرًا بالفعل المحرم إما بمحبة امرأة أجنبية أو صبي يقترن به النظر(33).

ب) موقف الإمام الغزالي:

يُنبِّه الإمام الغزالي على أمر مهم بخصوص إنشاد الأشعار الوعظية التي تكني عن العشق الإلهي بالعشق المعروف بين الناس، فيقول رحمه الله تعالى: (وأما الأشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم، قال الله تعالى: **{وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ**

---

(33) شيخ الإسلام ابن تيمية، أمراض القلوب وشفاؤها، المطبعة السلفية، القاهرة، ط3، 1399هـ، ص(35).

(**224**) **أَلَمْ تَـرَ أَنَّهُـمْ فِي كُـلِّ وَادٍ يَهِيمُـونَ}** [الشـعراء: 224-225]، وقـال تعـالى: **{وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ}** [يس: 69].

وأكثـر مـا اعتـاده الوعـاظ مـن الأشـعار مـا يتعلـق بالتواصـف في العشـق وجمـال المعشـوق وروح الوصـال وألم الفـراق، والمجلـس لا يحـوي إلا أجـلاف العـوام وبـواطنهم مشـحونة بالشـهوات وقلـوبهم غـير منفكـة عـن الالتفـات إلى الصـور المليحـة، فـلا تحـرك الأشـعار مـن قلـوبهم إلا مـا هـو مسـتكن فيهـا، فتشـتعل فيهـا نـيران الشـهوات، فيزعقـون ويتواجـدون، وأكثـر ذلـك أو كلـه يرجـع إلى نـوع فسـاد فـلا ينبغـي أن يسـتعمل مـن الشـعر إلا مـا فيـه موعظـة أو حكمـة علـى سـبيل استشـهاد واستئناس)[34].

---

(34) محمد الحسيني الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط2، 1994م، (879/3).